

لقد نالنا التعب من قراءة لائحة الجرائم التي ارتكبتها القيصر ، ومع ذلك ينبغي علينا أن نفترض أن هذه الجرائم كانت لا تزال تسليتي أولئك الذين كانوا ينظمونها أو الذين كانوا لها من المتفرجين . وكان من بين هؤلاء القتلى إيفان فورونيسوف ابن صديق القيصر في صباه . ولقد نسي الكثير من الأسماء وعددها عظيم ، ولكن بين ما يذكر منها توجد أسماء قواد حرب مشهورين وأبطال وسادة بهاليل ورجال كان لهم علاقات وثيقة مع العائلة المالكة .

وكان لمعظم هذه الجرائم صفة من بربرية خاصة وقسوة نادرة تعجب جهابذة الخبراء . من أمثلة ذلك أن فويغود سولو خفانستوف عندما علم أنه كان في خطر اختبأ في أحد الأديرة على الأوكا ، فلما علم إيفان قال : « إنه يسعى الى الله فلنساعد على أن يصعد اليه » ، ثم وضعه في برميل بارود وفجره فيه .

وفي يوم آخر امر بأن تطلق دببة غاضبة وسط جمهور متجمع في أحد أسواق موسكو ليرى كيف تمزق ضحاياها وتاكلهم ويشاهد الرعب الذي ستمتلىء به صدورهم .

وفي مرة أخرى بينما كان الى المائدة صب حساء حارقاً على أمير مضحك فزمجر الأمير من الألم وفر من مجلس القيصر الذي سارع بزور سكينه في صدره وأرداه قتيلاً على الفور . وفي جلسة مماثلة بعد ذلك تجرأ أحد أفراد الحاشية المسمى ميتكوف على أن يقول للقيصر إن البيرة التي يشربها كانت ممزوجة بدماء ضحاياه ، فرفع القيصر عصاه المدببة بالحديد وأخذ يضربه بها حتى الموت . وفي مناسبة أخرى قام نبيل ليفوني سجين كان على وشك أن ينفذ فيه حكم الموت بالانقضاء على القيصر أولاً أن ولي العهد أوقفه بضربة من خنجره فأرداه . مرحى أيها الأمير الصغير !: فأنت لا تقل قسوة عن أبيك ، فهم لم يكونوا ليقتلوه كي يجعلوا منك قيصرًا بدلا عنه !. وبديهي أنهم لم يتحدثوا عن حياة ولي العهد كما تحدثوا عن حياة أبيه ولكنهما كانا بدون شك صنوين في الجريمة والفجور